نقد الإسلام في الأدبيات الفلسفية الفرنسيةالمعاصرة

Criticism of Islam in Contemporary French theoreticalLiterature

د/ عبد النور نابتabdennourNabet

جامعة أكلي محند أولحاج البويرة

abdenour031974@gmail.com

تاريخ الايداع: 2019/10/01 تاريخ القبول:2020/01/20 تاريخ النشر:2020/06/28

الملخص:

كان لقضايا الحجاب الإسلامي وحريةالتعبير والديمقراطية، وإشكاليات اندماج المسلمين في المجتمع الفرنسي، والإرهاب، أثرا في خوض فلاسفة فرنسا في النقاش حول مستقبل الجالية المسلمة بفرنسا، وتحاول الدراسة الحالية فهم حقيقة النقد الفلسفي الموجه للإسلام، فهل هو ممارسة نقدية موضوعية؟أمأننا أمام مواجهة حضارية مفتوحة؟ بالعودة إلى تاريخ الفلسفة الفرنسية الحديثة كان الإسلام موضوع تأملات لاهوتية وسياسية، فالشرق الإسلامي كان ينظر إليه كمنطقة يسود فيها التعصب الديني والاستبداد السياسي، ولا شك أن ظروف الصراع الديني والسياسي بين الإسلام والمسيحية لعبت دورا في رسم صورة سلبية عن الإسلام ومقدساته، وحاولنا في هذه الدراسة فهم الأحكام الفلسفية التي حملتها مؤلفات فولتير وبايلو مونتيسكيو، والموسوعيين الفرنسيين،يصعب على الخطاب الفلسفي الفرنسي المعاصر فهم حقيقة الإسلام، بالنظر إلى تشعب تم ظهراته الاجتماعية والسياسية، ولكن الصورة الغالبة تتجه نحو الأصولية الإسلامية، التي تعتبر العدو الأساسي للحضارة الغربية، ذلك لأن الخلاف عميق على مستوى القيم الأخلاقية والسياسية.نصل في نهاية الدراسة إلى بيان حدود النقد الفلسفي للظاهرة الإسلامية في فرنسا، والتي مفادها صعوبة بناء أحكام موضوعية عن الإسلام بسبب التمركز الغربي، وارتباط المنظومة المعرفية الغربية بالإرث الديني والاستشراقي.

الكلمات المفتاحية: الإسلام، اللائيكية، الديمقراطية، العنف، المرأة، حقوق الإنسان.

Abstract:

Les questions du voile islamique, de la liberté d'expression et de la démocratie, des problèmes d'intégration des musulmans dans la société française et du terrorisme ont eu un impact sur les philosophes français en discutant de l'avenir de la communauté musulmane en France.La présente étude tente de comprendre la vérité de la critique philosophique dirigée contre l'islam. Ou sommes-nous confrontés à une confrontation ouverte civilisée? Pour en revenir à l'histoire de la philosophie française moderne, l'islam a fait l'objet de réflexions théologiques et politiques et l'intolérance religieuse et le despotisme politique ont prévalu dans l'Est islamique, sans aucun doute, les circonstances du conflit religieux et politique entre l'islam et le christianisme ayant contribué à donner une image négative de l'islam et de ses sanctifications. Comprendre les jugements philosophiques de Voltaire, Pyle, Montesquieu et les encyclopédies françaises empêche le discours philosophique français contemporain de comprendre la réalité de l'islam, compte tenu de la complexité de ses manifestations sociales et politiques, mais l'image dominante est dirigée vers le fondamentalisme islamique. , Qui est le principal ennemi de la civilisation occidentale, car le différend est profond au niveau des valeurs morales et politiques. Nous concluons à la fin de l'étude aux limites de la critique philosophique du phénomène islamique en France, à savoir la difficulté de construire des dispositions de fond sur l'islam en raison de l'ethnocentrisme et l'association du système de savoir occidental avec le patrimoine religieux et orientaliste.

Mots-clés: islam, démocratie, violence, femmes, droits de l'homme.

Abstract:

The issues of the Islamic veil, freedom of expression and democracy, problems of integration of Muslims in French society and terrorism have had an impact on French philosophers by discussing the future of the Muslim community in France. The present study attempts to understand the truth of philosophical criticism directed against Islam. Or are we facing an open civilized confrontation? To come back to the history of modern French philosophy,

Islam has been the subject of theological and political reflections, and religious intolerance and political despotism have prevailed in the Islamic East, without doubt, the circumstances of the religious and political conflict between Islam and Christianity that contributed to a negative image of Islam and its sanctifications. Understanding the philosophical judgments of Voltaire, Pyle, Montesquieu and the French encyclopedias prevents contemporary , French philosophical discourse from understanding the reality of Islam, given the complexity of its social and political manifestations, but the dominant image is directed towards the Islamic fundamentalism. Who is the main enemy of Western civilization, because the dispute is deep in moral and political values. We conclude at the end of the study the limits of philosophical criticism of the Islamic phenomenon in France, namely the difficulty of constructing substantive provisions on Islam because of Western concentration and the association of the Western system of knowledge. with religious and orientalist heritage.

Keywords: Islam, democracy, violence, women, human rights.

مقدمة:

يشكل الوجود الإسلامي موضوعا مهما لدى النخب الفكرية في الغرب عامة وفي فرنسا بالخصوص، وهذا نتيجة الحضور الديمغرافي القوي للجالية المسلمة في هذا البلد المعروف بعلمانيته المتطرفة وماضيه الكاثوليكي.

يلاحظ هذا الاهتمام الفكري من خلال الكم الهائل من المؤلفات ذات الطابع التاريخي والسوسيولوجي والأنتربولوجي والفلسفي، وما يهم هو الأدبيات الفلسفية المكتوبة باللغة الفرنسية، والتي تحمل نبرة نقدية قوية، فما حقيقة هذا النقد ؟ وهل هو تعبير عن مواجهة حضارية أم ممارسة علمية محايدة.

في مفهوم النقد عموما ونقد الإسلام بالخصوص

من الناحية المنهجية وجب تفكيك مفهوم النقد لغويا واصطلاحا، لفظة النقد(critique) في اللغات الأجنبية، وبخاصة في اللغة الفرنسية يرجع إلىالأصل اليوناني والى فعل (krino)وإلى الاسم (krisis) أو الأزمة، ويعني بالنقد، التمييز والاختيار، والحكم والفعل، والقرار واتخاذ الموقف، أمّا من الناحية

الاصطلاحية فان النقد يعني الحكم ويرتبط بالمنطق، فلا قضية بلا حكم، ويطلق النقد على كل تفكير عقلي يقوم باختيار وفحص موضوع من الموضوعات بقصد الحكم عليه، وتحديد قيمته، والتفكير النقدي هو كل تفكير لا يسلم بأي تقرير دون التساؤل أول الأمر عن قيمة هذا التقرير، سواء من حيث مضمونه (نقد داخلي) أو من حيث مصدره (نقد خارجي) وهذا هو المعنى الغالب على النقد.(لالاند،2001، 237)

وبالعودة إلىلالاند(Andre Lalande) والذي يحدد في قاموسه الفلسفي ثلاث معان للنقد، وهي:

أ- فحص مبدأ أو ظاهرة للتحكم عليه أو عليها حكما تقويميا، تقديريا، كالنقد الفني والمنطقي، أو كما حدده كانط بوصفه"فحصا حرا وعلنيا"

ب- حين يحصر هذا المعنى بالحكم المناقض، يطلق النقد إما على اعتراض أو على استقباح يدور حول نقطة خاصة، وإما على دراسة إجمالية ترمي إلى دحض أوإدانة عمل ما.

ت- تشير إلى الصفة (نقدي) أي ما يشكّل أزمةأو ما يتعلق بأزمةأو في الكلام على وضع مادي أو فكري: خطير أو غير مستقر على الأقل، أو لا يكن الاستقرار فيه. (لالاند، 2001، 237-238)

يعتبر النقد ممارسة حضارية غربية بامتياز، فالإغريق مثلا مارسوه في كافة مجالات التعبير الأدبي والفلسفي، وكان المسرح مجالا خصبا للتعبير الديمقراطي، ولم يسلم الحكام والمشاهير من النقد وبيان عيوبهم، وهذا ما أعطى للغرب فرصة للتطور، وقد استمر هذا النمط من التفكير في الأزمنة الحديثة بأوروبا.

وقد اتجه النقد بداية نحو النصوص الدينية، وهذا لإعادة قراءتها من جديد بما يتناسب مع المعطيات الجديدة لزمن الحداثة، زمن الشك والنقد وفحص كل ما هو بديهي، لكن وللأمانة العلمية يجب أن نتوقف في غايات النقد، فلم تكن هذه الممارسة الفلسفية تستهدف حقائق الدين وعقائده، وإنما هي محاولة لإعادة فهم النص ومنع احتكار الحقيقة لدى فئة الاكليروس، ومن هنا نفهم تماهي الحداثة الغربية مع المسيحية الغربية في غالب الأحيان.

ويمثّل فولتير(1794-1778) نموذجا لهذا التوجّه، وقد ابتدأ في مهاجمة الأديان والمسيحية بعد منتصف القرن الثامن عشر، فانتفض على الكنيسة، يهاجمها ساخرا ومتهكما، وكانت أولى حملاته كتيبا اسماه"**مقبرة التعصب**" كشف فيه عمّا تتضمنه الأناجيل من الاختلاف والتناقض، وعمّا في

تاريخ الكنيسة من فضائع، وأشار فيه إلى أنّ تلك الفضائع تجعل كل عاقل يفرق فرعا من اعتناق الكنيسة."(العميري، 2018، 133)

وقدكتب فولتير رواية بعنوان **محمد** ومثلت على مسارح باريس كثيرا، يهاجم فيها التعصب الأعمى والتزمت، وصوّر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فيها بصورة قبيحة، وجعله مثالا للإنسان المخادع، الذي يتعمّد أن يدس دينه الجديد إلى عقول قوم سذّج، ويستغل إيمانهم في استثارة هممهم في القتال، ولم يكن يقصد بها حصرا الحكم في نبي الإسلام،وإنما كان يعرض فيها برجال الدين المسيحي، فالرواية في حقيقتها هجوم لاذع على المسيحية نفسها، ولهذا غضب منها رجال الكنيسة، وسعوا إلى منعها وبيعها.(العميري، 2018، 133-138) غير أنّ هذا النقد لا ينف عن الرجل إيمانه بوجود الله واعتماده على دليل العناية الإلهية في إثبات وجود الخالق، وقد قام بالرد على الفكر الإلحادي وسعى إلى مقاومته.

ثمة شخصية فلسفية أخرى ميّزت فلسفة التنوير انخرطت في حركة نقد الدين في القرن الثامن عشر، وهي شخصية الفيلسوف الفرنسي بييربايل(1647-1706) والذي عاين النصوص الدينية في كتابه **القاموس التاريخي والنقدي**، وما يهم هو موقفه من الإسلام، نقرأ في هذا القاموس بحثا عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم(Mohamet)، وفيه عرض مفصل عن حياة نبي الإسلام معتمدا على كم هائل من الكتابات الاستشراقية الصادرة عن لاهوتيين ومؤرخين ألمان وانجليز في غالب الأحيان، وغالبيتها تحمل طعنا في نبي الله وتكذيبا لرسالته.

يقول بييربايل:" لقد لجا محمد وأتباعهإلى حمل الأسلحة لفرض ديانته، وهكذا يجب البحث عن أسباب تقدّم هذا الدين، والتي تختصر في انقسامات الكنيسة الإغريقية وتشتت الطوائف المسيحية والحالة السيئة لإمبراطورية الشرق وفساد الأخلاق، ولكن السبب الرئيسي لهذا الانتشار الإسلامي يكمن في القرآن، والذي اعتمد أساسا على كتابات يهودية ومسيحية".(Bayle, 2015,109)

يعتقد بايلأن تشتت المسيحيين ورذائلهم سهلت تقدم أتباع محمد، وأن الديانة المحمدية أكثر انتشارا من المسيحية بالنظر إلى الانتصارات والغزوات، وهذا ما بجعل المحمديون صناعا للتاريخ، وهذا واقع التوسّع العثماني في أوروبا وشراسة المواجهة مع المسيحيين، وقد يعطي هذا انطباعا بأن المسلمين أكثر ميلا للحرب وبعدا عن العلم بعكس المسيحيين، لكن بايل يرى أنإسهام المسلمين في الثقافة العلمية

واضحا، فقد كان لديهم شعراء وفلاسفة عظام وفلكيين مشهورينوأطباء مهرة، وأن الكثير من خلفاء المسلمين ذووا أخلاق عالية وأصحاب فضائل.(bayle , 2015,110)

إن جهل بايل بحقيقة الإسلام وما ورد في القرآن جعله يتحدث عن مفارقة بين واقع التسامح الإسلامي التركي مع المسيحيين، رغم أنالقرآنيأمرأتباع محمد باضطهاد الكفار(bayle, 2015, 111) ثمّ إنّ واقع التسامحالإسلامي يقابله في الغرب لا تسامح المسيحيين فيما بينهم، وهذا نتيجة الصراع الكاثوليكي البروتستانتي وشدّة القمع الكاثوليكي.Bayle, 2015,115()

يمثل فولتير وبايل نموذجين أساسيين للقراءة التنويرية للإسلام في بعده الحضاري والديني، وهنا لا بد أن نشير إلىأنالإسلام ظل ينظر إليه كتحد حضاري للحضارة الغربية في قيمه وعاداته وتقاليده، وهنا لابد من الحديث العابر عن الموسوعيين الفرنسيين (ديدرو، دولباخ،دلامبير) وقبلهم مونتسكيو في كتابه **رسائلفارسية**، وكذا كتاب **روحالقوانين**، والكتابين ضمّا صورة نمطية عن الشرق في عيون الغرب، وهي صور مستقاة من كتابات الرحالة الغربيين واللاهوتيين المسيحيين، والتي تشكّل مصدرا مهما لفلاسفة التنوير الفرنسيين، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه داخل الفضاء الثقافي الفلسفي الفرنسي المعاصر، هل تحرر فلاسفة فرنسا المعاصرين من هذا الإرث الفلسفي التنويري ؟وهل هناك قراءات مغايرة فرضت نفسها داخل النسيج الثقافي الفرنسي يمكن أن نطلق عليها صفة الحيادية؟

إن فهم هذا الرهان الفكري يمر حتما عبر فهم الإدراكات الفلسفية الفرنسية المعاصرة عن الإسلام، وهذا بالنظر إلىأزمة الحجاب ومسألة حرية التعبير والإرهاب والقرآن، وهي المواضيع الأساسية التي اشتغلت عليها الفلسفة الفرنسية المعاصرة.

هوية الإسلام في الخطاب الفلسفي الفرنسي المعاصر:

تقول الأنتروبولوجية الفرنسية جوسلين داخلية:" ينظر إلى الإسلام على أنه دين استبدادي وشمولي، غير قابل لاستيعاب أي شكل من أشكال التجزئة وأنه لن يكون إلا متعارضا وخاليا من المعنى اتجاه كل أنواع الحرية، سواء على مستوى الممارسات الفردية، أو التعبير الجماعي. وعلى الصعيد الفردي، يقع النظر إليه بأنه ديانة الخضوع والإذعان بالمعنى الحرفي، هذا هو معناه الاشتقاقي، بل كنهه ومكمن روحه." (داخلية، 2019، 197) أمام هذا الحكم الذي يتسم بالسلبية والإفراط في الإدانة، هل يشذ فلاسفة فرنسا المعاصرين عن هذا النقد السلبي؟ يصعب على الباحث إصدارإجابة نهائية عن هذا السؤال لأن المسألة مرتبطة بتعد التمظهرات الثقافية للإسلام، فأي إسلام وجب الحكم عليه،

الإسلام كحضارة قدمت لأوروبا العلم والفلسفة، أم إسلام سكان الضواحي(أبناء المهاجرين)، أم الإسلام الأصولي الكاره للآخر والمنغلق على ذاته؟ وهذا على الرغم من أن الإسلام ككيان عضوي متجانس يستمد وحدته الثقافية من القرآن والأحاديث النبوية الشريفة.

هذا التعدد لتمظهرات الإسلام تعكسه النقاشات السياسية الفرنسية الرسمية، التي تحاول تبرئة الإسلام كدين من الحوادث الإرهابيةوإلصاق ذلك بالجماعات الإسلاميةالعنيفة، وينتقل هذا النقاش إلى السياق الأكاديمي وتنبري الأقلام في محاولة لمعرفة الإسلام الحقيقي، وهي محاولات غير بريئة، ونج على سبيل المثال أبحاث ريمي براغ، والذي يضع ثلاث تعريفات للإسلام .

(Brague,,2015,6)

1-الإسلام كدين.

2-الإسلام كحضارة (الجغرافيا، التاريخ).

3- الإسلام كشعوب غير متجانسة لغويا وعرقيا.

يصل تحليل براغ إلى بيان غموض الأصول الحقيقية للإسلام، وهذا في محاولة للتشكيك في القرآن،(Brague, 2015, 9) طبعا هذا الحكم لا يضيف جديدا إلى سجل المحاولات الاستشراقية القذرة في حق الديانة الإسلامية، هذا مع العلم أن براغ كباحث في الفلسفة الوسيطية لا يعطي أية قيمة للفلسفة الإسلامية، ويعتبرها مجرد حلقة وصل ضعيفة بين الفلسفة اليونانية والفلسفة الحديثة.

وعلى النقيض من ذلك يقول جان لوك نانسي(1940-) أن هناك رابطة تفكيرية بين الثقافة الأوروبية والثقافة الإسلامية، وهذا بعيدا عن الاستعمالات الدينية والإيديولوجية والوطنية والهوياتية والتآمرية... ولهذا سأعمد إلى الحديث عن اسم الخوارزمي الذي ترك أثرا في الرياضيات الحديثة، والتي تتعمد كتب المؤرخين تجاهله، وعدم ذكر اسمه وجهوده العلمية... أما الصورة الثانية فتتعلق بما كتبه فلوبير عن حضارة الأندلس وتمجيده لإبداعات العرب والمسلمين.. هذا دون نسيان أعمال المستشرقين في الفلسفة الإسلامية أمثال لويس ماسنيون، وكرستيان جامبي، والتي ساهمت في صدع الهوة المفتوحة في التاريخ.(Nancy, 2019, 117-119).

إن اعتراف نانسي (فيلسوف تفكيك المسيحية) بأثر الثقافة الإسلامية على الثقافة الأوروبية سيفقد مصداقيته أمام شدة التدافع الحضاري بين الاسلام والغرب في ظل محاولات شيطنة الإسلام، يقول الفيلسوف الفرنسي رجيسدوبري (Régis Debray) "هناك محاولات كثيرة لشيطنة الإسلام، ويمكن تفصيل ذلك بالنظر إلى صدمة الجهالات وثقل الأكليشيهات الإعلامية،. وكذا الصراع التاريخي القديم بين المسيحية والإسلام، ولكن في العمق فإن كل نسيج اجتماعي يحتاج إلى فزّاعة، وليكن

النحن يجب أن يكون الآخر من جهة أخرى، والآخر الإسلامي وجد دون خيار، فبعد أن ماتت الشيوعية كان لا بد من ملئ الفراغ بالإسلام، الذي يعتبر الطرف الأسهل إدماجا في الآخر مكان الشيوعية"(Debray,2009, 913)

توضيحا لهذه المقولة، يعتقد مؤرخ الأفكار الفرنسي دانييل ليندبرغ(D. Lindbergh2018-1940) أنه منذ أحداث الحادي عشر سبتمبر من عام 2001 نرى بوضوح ولأول مرة ومنذ زمن طويل الإسلام كدين عالمي في دكة المتهمين، وهذا بسبب التعاطف الغربي المشروع الناتج عن جرائم تنظيم القاعدة، وبعد الشحن الإعلامي تنادت أصوات تدعو إلى وضع الإسلام والمسلمين تحت الرقابة، وهذا الأمر أوجد فرصة لا تعوّض بالنسبة للأصوات الكاثوليكية المعادية للحوار مع أتباع النبي محمد. وهنا نذكر المؤرخ ألانبسانسون، والفيلسوف بيير مانيه (P. Manent) ، وهذا الفيلسوف لا يعتبر الإسلام دينا يمكن أن تتحاور معه الكنيسة، أو الاشتراك معه في قيم وتفاهمات، الأدهىوالأمّر يظهر تحفظه من الوجود الإسلامي في الأرض المسيحية." (Lindenberg, 2002,37-38)

إنرفض الحوار مع الإسلام سينسف حتما التصورات الايجابية عن الإسلام كدين سماوي وكثقافة ساهمت في بناء الحضارة الغربية، ضمن هذه الرؤية تدعو الفيلسوفة الفرنسية سينتيا فلوري(-Fleury.1974)في كتابها الحوار مع الشرق إلى العودة إلى عصر النهضة لاكتشاف وإعادة اكتشاف شروط إمكانية الحوار.... ذلك أن المواريث الأفلاطونية القديمة والجديدة قد تمّ إعادة صياغتها وتكوينها بالاتصال بالمرجعيات اليهودية والمسيحية والعربية، فحسب فيلسوف عصر النهضة بيك دولاميراندول1493-1463 .Delamirandole)توجد جدلية لاتاريخية وجني الوجية للأفكار، وهي المسؤولية عن خصوبة كل معرفة.(Fleurry, 2016, 283)

تصطدم إمكانية الحوار والتفاعل بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية بعائقين: الكم الهائل من الكتابات الاستشراقية الحاملة لايدولوجيا التمركز الحضاري والناظرة إلى الشرق بدونية، وأنّه متلق للمعرفة الغربية، أمّا العائق الثاني فيكمن في تنامي الأصوليةالإسلامية والمؤمنة بصدام الحضارات، وتلك أطروحة نّظر لها عالم السياسة الأمريكي صمويل هننجتون(Huntington))

ينطلق دعاة أنصار الحوار بين الحضارات والأديان، وخاصة بين الإسلام والمسيحية من حقيقة الطابع السماوي لهذين الدينين، ومن الناحية التاريخية فإن الدعوة إلى الحوار قادها المعتنقون الجدد

للإسلام، ويمكن أن نذكر على سبيل الحصر رونيه قينون(R.,1886-1951Guenon) ورجيه غارودي(R Garaudy, 1913-2012.) ، وهي محاوله لإدماجالإسلام الدين الجديد لهؤلاء في السياق الثقافي الغربي.

كثيرة هي الملتقيات والندوات واللقاءات التي تمّت بين الكنيسة الكاثوليكية، والممثلة في الفاتيكان وممثلي الديانة الإسلامية، وتنطلق هذه الأطراف الدينية من الإيمان بأن الأديانالثلاثة (اليهودية- المسيحية والإسلام) تتفق على فكرة التوحيد الإبراهيمية. ويرى موران (I. Morin) أنّ هذه الأديان الثلاثة-المذكورة آنفا- ذات بعد إنساني، وأن رسالتها تتجه نحو البشر كافة، ثمّإنّ كل إنسان له الحق في أن يتديّن، ولا يجب عليه أن يفرض دينه بالقوّة كما حدث مع المسيحية والإسلام، والأمر الثاني مرتبط بمصدر رسالة المسيح والرسالةالقرآنية، والمتمثلة في فكرة الرحمة... ولكن التاريخ بيّن أنّ هذه الرسالة الأصلية الرائعة غطتها الكثير من الدوغمائية والتعصّب، وتاريخ المسيحية يوحي بصدق هذا الحكم من خلال الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش وطرد المسلمين واليهود من اسبانيا، وكذا الاضطهادات التي لا تعدّ ولا تحصى بما فيها فترة القرن الثامن عشر... أما عن الإسلام فإنه لم يتسامح مع الأديان الوثنية بعكس تعامله السمح مع اليهودية والمسيحية."(Morin, 2017,44-45)

تصطدم محاولة ادغار موران في التقريب بين الأديان السماوية الثلاثة من خلال طرحه لفكرة الأصول المشتركة بالاختلافات العقائدية والتاريخية، ذلك أن الادعاء بأن الإسلام ديانة إسلامية يهودية مسيحية كما يقول موران ينفيها الفيلسوف واللاهوتي ريميه براغ(R.Brague ,1947-)،ذلكأنّ المسيحية تمثل صورة لليهودية، فيسوع الناصري كان يهوديا، والوعاظ الإثني عشر والقديس بولس ومؤلفي العهد الجديد كانوا يهودا، وأنّ المسيحية بدأت باعتبارها فصلا من فصول التاريخ اليهودي، متفرعةبشكل مأساوي عن اليهودية، ومن جهة أخرى توجه المسيحيون نحو الوثنيين لإعلان رسالة البعث، ولأن اليهود اعتبروا النصارى هراطقة، فقد تم إقصاؤهم من المجتمع اليهودي، وهذا ما خلق توترا أوصلنحو فصل متواصل بين الديانتين."(Brague, 2009,44-45)

يضيف ريمي براغ قائلا:" بالمقابل فإن الإسلام ولد مستقلا عن إسرائيل، بعيدا عن الأرض المقدسة، وعند شعب لم يكن يهوديا، إن محمد لم يكن يهوديا ولامسيحيا، فحسب التاريخ التقليدي، عارض محمد أحبار اليهود في المدينة، والذين رفضوا رسالة الإسلام، ولهذا السبب نظّر هذا النبي الجديد اختلافه معهم بإعلانه وراثته لرسالة إبراهيم وموسى وعيسى (Brague, 2017, 45)

يمثل ريمي براغ أحد الأصوات الرافضة للحوار المسيحي الإسلامي، معتقدا أنه لا يجدي نفعا، ومؤكدا أنه لا يستطيع أن يتحاور مع أشخاص يرون أن دينه محرّف، كما أنالإسلام كدين ينظر إلى الكتب اليهودية والمسيحية على أنها ليست أصلية، وأن القرآن لا يحتاج للعهد القديم ولا الجديد، وعمليا لا تقرأ هذه الكتب، وفي الكثير من الأحيان تمنع قراءتهما." (Brague, 2017,46)

يفتح هذا التشخيص الباب أمام كم هائل من الدراسات والمؤلفات الفلسفية، التي تحشر الإسلام في خانة العدو للحضارة الغربية، والإسلام المقصود هنا، هو الحركة الأصولية، يقول بيير أوندريهتاغييف(P.A.Taguieff ,1946-):" نحن الأعداء الذين يحددهم الإسلاميون، وفي هذا النحن وعن طريق دوائر مركزة نجد الفرنسيين والأوروبيين والغربيين، وهذا المصطلح لايضم الغربيين فقط، ولكن جميع المتغربين ثقافيا من مسلمين أو غير مسلمين."(Taguieffe, 2017,10)

إن هذا النحن يجب أن يفهم في سياق مرجعية تاريخية وقيمية مشتركة، تمثّل الحضارة الغربية ، ومع توضيح دقيق، فإن الإسلاميين يرفضون توجهات الحضارة الغربية، والتي يحددها الفيلسوف الفرنسي فيليب نيمو(P. Nemo, 1949-) بدولة القانون والديمقراطية التعددية والحريات الفكرية والعقلانية النقدية والعلم واقتصاد السوق، وإن شئنا القول الليبرالية الاقتصادية مع أطروحتها النقيضة، الاشتراكية. (Nemo,2004,7-8)

من هذه الخلفية، تمثل الأصوليةالإسلاميةأهم التحديات الفكرية عند الفلاسفة الفرنسيين المعاصرين، ولا شك أنالأحداث التي شهدتها فرنسا والمتصلة بأوضاعالجالية المسلمة، كانت السبب الأساسي لهذا الاهتمام المتزايد بالظاهرة الإسلامية، وقد كانت أزمة الحجاب الإسلامي واعتداءات شارلي أيبدو والتفجيرات الإرهابية مادة مهمة للتأملات الفلسفية .

أزمة الحجاب الإسلامي ومفارقات اللائيكية الفرنسية:

في البداية كانت مشكلة العلاقة بين الإسلام واللائيكية ترتد إلى بعض القضايا القانونية المعقدة، والتي لم تكن لها مكانة بارزة في النقاش العام، ويتعلق الأمر هنا بالزواج المختلط بين المسلمين والفرنسيين، وكانت الحلول تضبط في إطار القانون الدولي، وفي واقع الأمر فإن هذه المشكلات تعود إلى الاختلاف الطبيعي بين القانون المدني العلماني لبلد مثل فرنسا وقانون البلدان الإسلامية المرتبط بالشريعة الإسلامية.(Raynaud, 2019,188)

من وجهة نظر فليب راينو(- P .Raynaud,1952) لم يكن الإسلام ولا اللائيكية ضمن موضع مواجهة سياسية، ولكن بروز موضوع الهجرة في مطلع الثمانينات من القرن الماضي فتح المجال لنقاش سياسي حول الإسلام، ثم إن الحذر اتجاه المهاجرين ارتبط بالدين، ولكنّه كان ادعاءا عاما أمام النتائج الفعلية أو المفترضة للهجرة، وهنا يجب أن نتذكر خطابات الجبهة الوطنية المدافعة عن اللائيكية، والتي أكدت على أن إقصاء الإسلام يمكن أن يكون دافعا أساسيا لرفض الهجرة، غير أن هذا الموضوع يندرج أساسا ضمن خطاب كاره للأجانب، ذو نظرة عنصرية، ومعادية للسامية. (Raynaud, 2019, 189)

وقد تفجرت مشكلة الإسلام عن قضايا الحجاب الإسلامي، ويعود أصل المشكلة بالنسبة للكثير من الكتاب ورجال السياسة الفرنسيين، إلى أن التطورات المجتمعية المرتبطة بالحضور الإسلامي تهدد أصلا الكيان العام لقانون عام 1905، الذي ينص على الفصل بين الدين والسياسة، ذلك لأن الحضور المتنامي لأتباع الديانة الإسلامية، التي ترفض أو تتجاهل الفصل بين الكنيسة والدولة، والتمييز بين الروحي والزمني يضع الجمهورية في صعوبة الاعتقاد بأن المسألة تم تجاهلها في الماضي. (Manent, 2001,40)

لقد أثار ارتداء الحجاب حفيظة وانتباه الأوساط الكارهة للأجانب، والتي تؤسس خطابها السياسي على فكرة الدفاع عن القيم الغربية المسيحية، وأن هناك ضرورة لمواجهة التهديد الإسلامي على فرنسا وأوروبا، وقد حملت الأحزاب الشعبوية الأوروبية لواء الدفاع عن الحضارة الغربية المسيحية. (Kelani, 1993, 151)

لكن وجب التنبيه إلى مضمون هذه القيم، ذلك أن النقاش حول القيم يوضح انقساما بين المحافظينالمسيحيين وبين العلمانيين باختلاف توجهاتهم(ليبراليين، شعبويين)،فالرهان الأساسي يدور حول الإجهاض والزواج المثلي، بين رافض ومتسامح على التوالي، ولكن الرؤى السياسية للمحافظين والعلمانيين تتفق حول التعارض الثقافي بين أوروبا والإسلام مع وجود مخاوف أسلمة المجتمعات الغربية، لكن المحافظين المسيحيين والشعوبيين أبعد من أن تنقسم رؤاهم السياسية، فالقاعدة الكاثوليكية الملتزمة تمثل وعاءا انتخابيا للتيارات الشعبوية المعادية للأجانب، وبخاصة المسلمين(Roy, 2019,130)

غير أن الكنيسة كمؤسسة دينية تتحفظ على هذه الخطابات الرافضة للمهاجرين، وتتبنى استقبالهم، وفي الوقت نفسه ترفض تجذر الإسلام في أوروبا، وهذا توافقا مع اللائكيين، على الرغم من أنهؤلاء

يدعمون الحق في الإجهاض والزواج المثلي، ويعارضون الإسلام لنفس أسباب معارضتهم للكنيسة الكاثوليكية والدين عموما. (Roy, 2019,131)

يعتبر نقد الدين عموما والإسلام خصوصا ثابتا أساسيا لدى القوى التقدمية المدافعة عن حقوق الإنسان، لقد رأت هذه القوى السياسية، باختلاف توجهاتها الحزبية(يسار، يمين) أن الحجاب كزي ديني يمثل رمزا لاستعباد المرأة، وغطاءا يعبر عن دونيتها في النظرة الذكورية.

عندما طرحت قضية الحجاب في إطار السجال المدرسي نتيجة رفض الفتيات المسلمات نزع أحجبتهن داخل الفضاء المدرسي، نشر خمس فلاسفة فرنسيين رسالة موجهة لوزير التربية الفرنسي ليونيل جوسبا نفي مجلة **نوفيل أوبسيرفاتور**، مضمونها التركيز على المعنى الرمزي للحجاب الإسلامي معتبرين إياه علامة على خضوع المرأة، مع التأكيد على ضرورة حماية الفتيات من قانون الآباء والإخوة، لدحض فكرة أن ارتداء الحجاب يمثل حرية شخصية، وذكر هؤلاء أنّاللائيكية لا يجب أن تفهم على أساس حيادية أعوان الخدمة العمومية، ولكنها تساهم في تحضير الأطفال للدخول في عالم الفكر العقلاني والمواطنة الجمهورية.

يعارض ريجيس دوبريه أحد الممضيين على العريضة الحجاب الإسلامي، ويرى فيه عرضا يجب إعادة وضعه في إطاره الكرونولوجي والأرضي، ويترجم هبّة ثيوقراطية واسعة النطاق تتجه من الشرق إلى الغرب، ومن الجنوب إلى الشمال، ويمكن أن تكبر مع الهجرات الضرورية. (Debray, 2004, 10)

وفي تقدير ريجيس دوبريه فإن فرنسا لا تعيش في فترة 1905، ولا قبل سنة 1989، السنة التي أثيرت فيها مسألة الحجاب داخل المؤسسات المدرسية، والمقلق في هذه الفترة أن اليهود والكاثوليك والمسلمين داخل هذا البلد بدّلوا هويتهم كمواطنين في بعض الجرائد بانتماءاتهم الدينية، وهذه الظاهرة الاصطلاحية أحدثت خلطا كافيا في الحدود القديمة بين ما هو عام وما هو خاص، وبين المواطن والفرد على حساب الفصل بين المجال العام والمجال الخاص، ثمّ إن الصعود القوي للانتماءات والولاءات الدينية، وكذا الإثنية والفئوية والجنسية ترغمنا على التفكير في إجراءات عملية لوضع مبدأ عام وجوهري للجمهورية لا ترتد فقط إلى العلاقة القديمة بين الدولة والكنائس.(Debray, 2016,9)

إنّاللائيكية في نظر دوبريه ليست رياضة قتالية، وإنّما هي تعلّم الاحترام المتبادل، ويمكن أن ينظر إليها على أنّهاإجراء أمني وقاعدة مؤسساتية، هذا الحديث يعطي انطباعا بأن حماية اللائيكية ضرورية، وباسم الخصوصية الفرنسية يفرض قانون منع الحجاب والرموز الدينية. (Debray, 2016, 11)

من هذا المنطلق يقترح دوبريه نقل السجال الفكري إلىتأويلين متعارضين لفكرة الحرية السياسية، تأويل جمهوري وتأويل ديمقراطي، الأول يحيلنا إلى التقليد السياسي الفرنسي المرتبط بدولة قوية ومستنيرة تضع في أولوياتها المصلحة العامة على حساب صراعات المصالح والاعتقادات، أما النموذج الديمقراطي فيتجسّد في النظام الأمريكي، وفيه تصرّ الدولة على تشجيع التوافق بين المصالح والتعايش، وعلى إبراز التعدد الديني داخل الفضاء العام.(Raynaud, 2019, 193)

عاد خطاب اللائيكية إلى الظهور في سياق خطابات صراع الحضارات، طبعا لا يمكن أن نغفل حقيقة الصراع بين الإرادة الإلهية والإرادة الشعبية، وكانت اللائكية نتاجا للانتصار النهائي على الهيمنة الجماعية للكنيسة، ولقد فهم خطاب اللائكية كمعنى لمسارات انتصار الأنوار على الدين، غير أن الاستخدامات الراهنة لهذا الخطاب تتجه نحو الإسلام وفقط، ثم إن هذا الخطاب اللائيكي يرى في اللائيكية ضامنا للحرية والمساواة، بينما الإسلام يمثل نتاجا للقهر.(Scott, 2018, 8)

بالعودة إلىأرشيف الكتابات التقدمية عن المرأة بعد الثورة الفرنسية يرى الأنتروبولوجي الأمريكي جوان.و. سكوت أن خطاب اللائيكية المرتكز على وعود المساواة الإنسانية جعل اختلاف النساء عن الرجال السبب الرئيسي لإقصائهن من المواطنة، ومن ثم المشاركة في الحياة العامة، ذلك أن وعاظ اللائيكية فسروا هذا الاختلاف بالأسباب الطبيعية الإنسانية الموجودة بين الرجال والنساء وليس بالأسباب الدينية.(Scott, 2018, 33)

وضمن القراءات النقدية لخطاب اللائيكية تبرز محاولة الفيلسوف الماركسي ايتيان باليبار في فهم النقاش العمومي حول الحجاب الإسلامي، ويوضح هذا الفيلسوف أنّه في ظل كثافة الصراعات المدرسية تتحدد ثلاث وقائع أساسية:

1- إنّ دوافع ارتداء الفتيات المسلمات للحجاب ليست العنصر الوحيد للتقييم، ولأنه قبل القيام باختيار هذا اللباس، يمثل الحجاب في مختلف تنوعاته رمزا ثقافيا ودينيا وسياسيا...ثم إن هذه الدوافع تترجم مختلف أشكالالتحرر الأنثوي في العالم الإسلامي، ففي الجزائر مثلا: هناك صراع مرير بين المحافظين على النظام الباتريارکي (الأبوي) والمطالبين بمساواة النساء.(Balibard, 2004, 151-152)
2- التحاق جزء كبير من هيئة التدريس في فرنسا إلى الإيديولوجية الأمنية للدولة الفرنسية رغم هشاشة شروط العمل وانحطاط مكانتهم الاجتماعية وفقدانهم لوظيفتهم التربوية، ثم إن هذا

الانحراف الإيديولوجي يتم استغلاله من طرف لوبي المثقفين الجمهوريين(يمين، يسار) جاعلين اللائيكية والاستثناء الفرنسي مبادئ أولية في كل مداخلاتهم الإعلامية ومنشوراتهم الفكرية، وآخرون ينتظمون من خلال تصريحات البابا ومقربيه في الكنيسة الفرنسية، ويعتبر ألان مادلان أبرز ممثلي هذا التيار العقائدي.(Balibard, 2004,152)

3- تشجع ظواهر استفزاز وتجريم المسلمين داخل المجتمع الفرنسي ما بعد الاستعماري تطور الإيديولوجيات السياسية الدينية الأصولية، والتي تشكل خطرا بالنسبة للديمقراطية، وتفتح هذه التيارات النقاش حول حقيقة الخطر الإسلامي في المجتمعات الغربية (Balibard, 2004,152) .

في ظل هذه الشروط يحدّد باليبار نقده لمشاريع التشريع القمعية وممارسات الإقصاء مؤكدا على ضرورة تجنيب الصراعات الإيديولوجية ومنع استخدامها كأداة إستراتيجية لحل المشكلات الاجتماعية.(Balibard, 2004,153)

يذهب باليبار إلى تحليل أعمق فيما يخص فكرة الفصل بين الديني والسياسي معتقدا أنه لا يوجد تمييز جوهري بين السياسي والديني، ولكن التمييز في حقيقته تاريخي ناتج عن قرارات سياسية، وهذا التوتر الدائم نجد صوره القصوى في صراعات الأحزاب التي تحركها الإيديولوجيات المرتبطة بالمصالح الدينية، أو في قوة التدين المحركة للإيديولوجيات السياسية المناوئة للإكليروس الكاثوليكي. (Balibard, 2004, 154)

وفي الوقت الراهن، هناك توجه فكري يتخذ من فكرة الاستثناء الفرنسي كحل نهائي وأبدي لمشكلة السلطة الروحية كما كان يقول أوغست كونت، ويحركهم في ذلك فكرة الغلق النهائي للمشكلة الدينية السياسية، وهذا على الرغم من أنّه لا توجد أسبابولا وسائل لفصل التعبيرات السياسية عن الآراء الدينية.(Balibard, 2004, 154)

يضيف ايتيان باليبار أن اللائيكية الفرنسية، لائيكية هوياتية، وبأنها تمثل تجذرا بسيطا للإرث الهوبزي الذي يجعل من الحفاظ على النظام العام أولوية على الحريات الخاصة، ومن هنا تتعدد الحجج القانونية والأخلاقية والبيداغوجية لدى المنظرين والسياسيين من أجل الحفاظ على نظام القيم الجمهورية واللائيكية، ولكنّها في حقيقة الأمر قومية ومعادية للإسلام، وتفترض هذه اللائيكية فكرة الهوية الجمهورية الكامنة في اللائيكية، والتي يجب أن تخدم اندماج السكان الأجانب وغالبيتهم من

المستعمرات السابقة، الذين هم موضع شك باعتبار أن معتقداتهم الدينية تشكل جسما غريبا عن الأمة الفرنسية(Balibard, 2016,24) ولهذا السبب يرفض أدعياء اللائيكية نظام التعدد الثقافي في محاولة لبناء طائفة وحيدة، وهي الدولة مستخدمين قيما إيديولوجية وموانع ثقافية.

ولكن الأخطر من ذلك، وفي ظل الوضعية فإن المصطلح الموازي للاندماج يصبح إعادة بناء ثقافة جديدة للمهاجرين أوالأجانب وبخاصة المسلمين، وهذه المحاولة ستكون مبررا وحجة لهجوم الأصوليةالإسلامية على محاولة الحضارة المسيحية والعلمانية الهيمنة على المجتمعات المسلمة في أوروبا وكذا على المجتمعات العربية المسلمة المتغربة، وهذا طبعا سيعطي فرصة لشرعنة الجهاد. Bali) bard, 2016, 24)

إن هذا الصراع الثقافي بين الغرب والجاليات المسلمة سيحيلنا إلى تساؤلين مهمين: هل الإسلام في قيمه وتكوينه الحضاري يختلف عن الحضارة الغربية؟ وهل يعتبر عائقا أمام اندماج معتنقيه في المنظومة السياسية الغربية؟

الإسلام والديمقراطية

كتب مارسيل غوشيه في مؤلفه **العالم الجديد، مجيء الديمقراطية** مايلي: " في ظل الوضعية الأوروبية الحالية، هناك حساسية متباينة من واقع إضعاف الهيمنة المسيحية مع ترك مشكلات الاندماج الثقافي للمسلمين جانبا، والمطروحة من لدن إسلام مستورد." (Gauchet, 2017, 197) إن هذه مشكلات سياسية متعلقة أساسا بعدم قدرة المنظومة الديمقراطية الغربية على إدماج الجاليات المسلمة في الغرب، فهل المشكلة في الإسلام أم في الرواسب الثقافية للمجتمعات الغربية؟

تنطلق كل الكتابات الفلسفية الفرنسية من فكرة عدم وجود ديمقراطية سياسية في أرض الإسلام، وأن حقوق الإنسان الفردية غير معترف بها، وإن شرعية الأنظمة السياسية لا ترتبط أصلا بالديمقراطية، وهي غير قادرة في أن تفكر عن قدر الأفراد خارج المصير الجماعي، وهذا في ظل غياب المجتمع المدني... ثم إن ما يعيق الديمقراطية كامن في الثقافة السياسية والدينية السائدة، وكما هو معلوم فإنه منذ القرن السادس ميلادي تسود النظرية السياسية القائمة على الخضوع الطوعي لسلطة الأمر الواقع، ويعتبر الإسلاميون حقوق الإنسان مرتبطة بالوحي القرآني، وهكذا فإن الثقافة السياسية كما الدينية للعالم العربي غير متلائمة مع احترام حقوق الإنسان الغربية. Rollet, 2001, (161- 162)

ليس من المستغرب عدم اعتراف الإسلام بصلاحية حقوق الإنسان كما حددتها مواثيق 1776و 1789، أو 1948، فالناظر إلىالإعلان الإسلامي الإنساني المنعقد بباريس عام 1981 يرى بوضوح ارتباط منظومة الحقوق المعلنة بالقانون الإسلامي، ذلك أن نص 1981 يرجع إلى الشريعة الإسلامية في بناء المنظومة الحقوقية، وترتبط هذه الحقوق بإرادةالإله وبواجبات المؤمن اتجاه ربه، وبالفعل فإن حقوق المجتمع الإسلامي هدفها حماية أفرادها من فردانية سيئة وخطيرة...(Rollet, 2001, 164)

تركز الخطابات الفلسفية الفرنسية عادة على حق حرية الاعتقاد ومبدأ المساواة وعلى العقوبات الجسدية، وعادة ما يتم الربط بين الإسلام والحركات الإسلامية ممّا يخلق تمثلات عقلية مخيفة لدى عامة الناس، فلا يخلو منبر إعلاميأو افتتاحية صحفية من حديث مشوه عن الدين الإسلامي.

عندما يذكر الإسلام في كتابات مشيل أونفرايأو لوك فيري أو مارسيل غوشيه فإنه يذكر على أساس أنه دين متخلف، لم يعرف التحول الحضاري الذي عرفته المجتمعات الغربية، فالمسلمون لم يشهد تاريخهم نهضة أو تنوير أو حداثة، ولهذا فمن الصعب دمجهم من الناحية السياسية في المنظومة الديمقراطية.

يضع فلاسفة فرنسا وبخاصة تيار اللائيكية الهوياتية (ألانفينكيلكروت، برنار هنري ليفي، باسكال بروكنر وآخرون) اللائيكية شرطا أساسيا لاندماج المسلمين في الفضاء العام، والإسلام في نظرهم لم يعرف فصلا بين الزمني والروحي، كما أنه دين منظم للحياة الاجتماعية والسياسية، وهذا عكس المسيحية والتي تعطي مكانة مهمة للوعي وللجانب الداخلي، ولا تشرعن عمليا الحياة اليومية، ليس لأن المسيح يرد الناس لمنتداهم الداخلي فقط، ويرى لوك فيري أنه يمكن أن نقرأأو نعيد قراءة إنجيل يوحنا، ولن نجد إلزامات خارجية (طريقة اللباس والغذاء)، فكل هذه الأمور لم تكن تهم المسيح، ومن هذه الخلفية، فإن اللائيكية هي ثمرة لطبيعة المسيحية.(Gauchet, 2008, 238)

يطرح مارسيل غوشيه رؤية عميقة للمشكلة الإسلامية بفرنسا،معتقدا أنالإسلام ليس دينا مقاوما للعلمنة، ولا يمكن أن يفهم كديانة للخروج من الدين، فهذا المفهوم خاص بالمسيحية والإسلام في نظر غوشيه يمثل المرحلة الثالثة المتجاوزة لليهودية والمسيحية، وينتج عن ذلكإحساس بالتفوق الديني، والذي أكدته وقوته الغزوات الإسلامية، ولكن الأمور تغيرت مع المرحلة الاستعمارية الأوروبية، وحدث تحول مأساويوزاد الفشل التنموي الواضح حدة اللاتسامح مع الغرب، واكتملت الكارثة التي ألمت

بالمسلمين بعد هيمنة إسرائيل على الشرق الأوسط بمساعدة القوة العالمية المهيمنة (أمريكا). Liogier, (2016, 59-60)

إنّ آراء الفلاسفة الفرنسيين متباينة فيما يخص علاقة الإسلام والديمقراطية، نقرأ مثلا للفيلسوف وعالم الاجتماع رفائيل ليوجي1967,Liogier . R() حول هذا الموضوع، والذي أن يرى قيمة الشورى كفكرة إسلامية ليس غريبا عن الديمقراطية بالمعنى الإجرائي، كما أن النماذج الدستورية الممكنة يمكن أن تتنوع لان الحكومات الإسلامية لا تتخذ من القران والسنة مرجعية لها... ثمة تاويلات مختلفة لهذا الواقع السياسي، فالبعض يرى أن صمت النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في بعض القضايا الدنيوية يؤكد أنالإسلام لا يجب أن يحشر في السياسة، وآخرون يدافعون عن القانون الإلهي ويرونه أساسا دستوريا للسلطة السياسية.(Liogier, 2016, 61)

إن كل التعديلات السياسية القانونية في العالم العربي بداية من القرن التاسع عشرتجعل من الإسلاميين رغم تمسكهم بفكرة الإله المشرع يتبنون النظم السياسية الغربية، وبخاصة ضرورة اعتماد مجالس الرقابة الدستورية، ولكن هل يعنيأنالإسلام يؤسس لحكم ثيوقراطي يمحى فيه كل تمييزبين الروحي والزمني، وأن المفاهيم الغربية كالعلمنة والفصل بين الدين والدولة غريبة عن هذا الدين؟

هناك قراءة مغايرة لذلك يفصل فيها الفيلسوف جاكوب روقوزنسكي(1953-) الذي يعتقد أن صراعنا مع العالم الإسلامي يكمن فيما إذا كانت المجتمعات الإسلامية قادرة على التحول نحو ديمقراطية لائيكية. طبعا فإن منظري صراع الحضارات الغربيين يشككون في هذه الإمكانية، وهذا ما يستخلصه الأصوليون المسلمون الذين يدافعون عن هذه الطروحات، ويعتبرون أنالإسلام يختلف جوهريا عن الغرب.(Rogozinski, 2017, 133-134)

وبالعودة إلى التاريخ الإسلامي لا يوجد اكليروس، ولم يظهر بابا في الإسلام يستطيع أن يعارض حكم الخلفاء، ولم يتم تعيين حدود بين منظومة الحكم، ومنظومة الاعتقاد. تاريخيا، فإن هذه الوضعية شجعت الحكم السياسي على التدخل في القضايا الدينية وبخاصة في زمن العباسيين، أو حدوث العكس مع تدخل اللاهوتيين في قضايا الدولة. Rogozinski(136-135 ,2017 ,)

إن الغرب والإسلامقدّما إجابات مختلفة لسؤال العلاقة بين الدين والسياسة، ثم إن أولى التحديات التي ولدت مع الإسلام مضمونها كان البحث عن الصفة التي يمكن إطلاقها لورثة النبي محمد (صلى

الله عليه وسلم) بدون خيانة الرسالة التحررية التي حملها هذا النبي، وحول هذه المسألة بقي القرآن صامتا، ما أرغم المسلمين على الإبداع الفكري.(Rogozinski,2017, 138)

تمثل سياقات اختيار خليفة للمسلمين بعد وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في نظر جاكوب روقونسكي صورة معاكسة لنموذج الملك الرسول الموجودة في التوراة، فبعد موت أبو بكر(ض) تم اختيار عمر بن الخطاب(ض) وأطلق على نفسه صفة أميرالمؤمنين، ورفض أن يوصف بخليفة الله في الأرض، وهذا الموقف يبين بصراحة استبعادا لسيادة الحق الإلهي، وهو المبدأ الذي فرض في الغرب المسيحي.Rogozinski(141-140 ,2017 ,)

تقدم هذه الأطروحات قراءة جديدة في الفكر السياسي الإسلامي من فيلسوف فرنسي، وهذا ردا على القراءات التي ترى في الدولة الإسلامية الوسيطية دولة ثيوقراطية، وأن الإرث اللاهوتي التاريخي الإسلامي معيق لإمكانية التحول نحو ديمقراطية لائيكية.

إذن نحن أمام رؤيتين لحل مشكلة الإسلام في فرنسا، رؤية اندماجية للمسلمين في المنظومة الديمقراطية العلمانية، ورؤية تستثمر في تاريخ الفكر السياسي الإسلامي لإحداث تحول في الإدراكات العقلية للإنسان المسلم في الغرب، بقيت رؤية العيش المشترك والقبول بالآخر، أو ما يسمى بالتعددية الثقافية.

في هذه الحالة تظهر أفكار بيير مانيه في كتابه المثير للجدل **وضعية فرنسا** (Manent.P,2015) الداعية لسياسة دفاعية ممكنة، تقوم على توافق بين المواطنين الفرنسيين وبقية الهيئة المدنية، ويتأسس هذا التوافق على مبدأين أساسيين:

1 –أنيقبل المسلمون كما هم، بأن تستبعد فكرة التحديث التسلطي لعاداتهم، أو ما يسمى بإصلاح الإسلام،

2 - ومن جهة أخرى يجب الاحتفاظ والدفاع عن المميزات الأساسية للنظام السياسي الفرنسي، وبعض الخطوط العريضة لفيزيونومية فرنسا.(Manent, 2015, 71)

بالنسبة لبيير مانيه فإن قبول عادات وتقاليد المسلمين (نمط الغذاء، اللباس الدينية، المناسك، منع الاختلاط في المسابح) ضروري. صحيح يمكن لهذه العادات أن تخلط صعوبات في عمل المؤسسات الاجتماعية الفرنسية، غير أن ما يرفضه هذا الفيلسوف المقرب من الأوساط الكاثوليكية البرقع وتعدد

الزوجات، كعادات لا يمكن للمجتمع الفرنسي القبول بها، وفيما يخص المبدأ الثاني يركز بيير مانيه على الحرية التامة للفكر والتعبير، وهو مطلب موجود في قلب التاريخ الأوروبي الحديث، ثم إن هذه الحرية غير محدودة تنتج منافع كبيرة، ومضار تثير حساسية.Manent(74-73 ,2015 ,)

إنّ نقد الإسلام في تصور بيير مانيه مهم، وأنّ اتهام أي شخص بالإسلاموفوبيا لمجرد أنه انتقد هذا الدين لا يخدم المسلمين في شيء، ثم إن طلب الحماية والحصانة خدمة سيئة تقدم للإسلام وخاصة وأن المطلب واحد وهو إحداث إصلاحات، وأن يعرض هذا الدين للنقد الداخلي والخارجي...بأي حال من الأحوال يجب على المسلمين أن يكونوا مستعدين للعيش في مجتمع مفتوح، كما أن عليهم أن يحترموا هذه الحرية، وأن يستخدموها بشكل جيد، وأن الشرط الوحيد للمشاركة بفعالية في المجتمع الأوروبي هو أن يبينوا صورة الإسلام، وأن يقبلوا أن القانون السياسي لا يضع أية حدود لحرية الفكر والقول والكتابة والرسم.(Manent, 2015, 76)

وهذه هي الأشكال السائدة في التعبير داخل المجتمعات الغربية، والتي أثارت جدلا واسعا حول طبيعة النقد الموجه للمسلمين، هل هو نقد موضوعي ليس له خلفية عنصرية أو دينية؟

يجب أن نفهم حرية التعبير بمعنى أوسع لاشتمالها وسائل متنوعة من التعبير، ما يتجاوز حدود الكلمة البسيطة أو التعبير الكتابي، لكن وجب أن نأخذ بعين الاعتبار مجموع وضعيات التواصل والتي تعتبر مكانا مهما لفهم علاقات السلطة المتصارعة في الفضاء المعولم. (Ballibard, 2018, 53-54)

ولقد كانت حوادث شارلي أيبدو في باريس(2015/01/07) مناسبة لفهم سلوك المسلمين داخل المجتمع الفرنسي أثناء المظاهرات المنددة بالجريمةالإرهابية، وهنا تظهر المفارقة، إمّا عدم التضامن مع الإرهابيينالإسلاميين من أجل بيان انتمائهم للمجتمع الفرنسي أو تنديدهم بالرسومات الكاريكاتورية لجريدة شارلي أيبدو.(Ballibard, 2018, 67)

لكن جزءا مهما من المسلمين يرون في التجديف (Blasphème) إهانة وجرحا موجها بشكل جماعي لمجتمعهم، ويؤكد ايتيان باليبار أن هذا الموقف يتضمن بالمرة الصواب والخطأ، ذلك أن مقولة التجديف مذكورة في القوانين الرسمية للبلدان الإسلامية، وفي التأويلاتالأصولية للشريعة، والتي تقود نحو استخدام محاكم ضد الملاحدة وأتباعالأقليات الدينية المتهمين بعدم احترام المقدسات القرآنية، ومن جهة أخرى فإن الخطاب اللائيكي يرى في مقولة التجديف مدخلا لفهم الإسلام في فضائه اللاهوتي السياسي من خلفية القوانين الضامنة لحرية انتقاد المقدس.Ballibard(69-68 ,2018 ,)

يظهر موضوع التجديف أهمية القيم المقدسة الموجودة في كل مجتمع، بدرجات متنوعة، سواء كانت هذه القيم دينية أو علمانية، أو قيما دينية وعلمانية معا، ثم إن الخطاب العلماني المندد بتأثير تعسف المقدس الديني في المجتمعات غير الغربية مصاب بعمى عندما يتعلق الأمر بتعسف المقدس اللائيكي في الديمقراطيات الغربية. (Ballibard, 2018, 69)

إن عدم وجود حوار بين دعاة العلمانية وتيار الأصوليةالإسلامية يمثل أحد أهمأسباب تنامي العنف، اضافة إلى ذلك محاولة مسخ ثقافة المسلمين ،من هذا المنطلق كيف يفهم فلاسفة فرنسا علاقة الإسلام بالعنف، هل نحن أمام دين كبقية الأديانأمأمام لاهوت سياسي يتبنى العنف؟

الإسلام والعنف

لقد كان لتنامي العمليات الإرهابية دورا أساسيا في تبني الفلاسفة الفرنسيين أحكاما متفاوتة ومختلفة عن الإسلام. أحد أهم الرؤى الفلسفية الوفية لتقاليد النقد الماركسي للأديان نجدها في كتابات ايف كوينيو، والذي يتصور أن الإسلام فرية يدعي تقديم حقيقة مطلقة في مجال الميتافيزيقا عن طريق الوحي الإلهي، الذي لا يخضع لمساءلة معرفية، مع العلم أن الأديان السماوية الثلاث(اليهودية، المسيحية، الإسلام) تتناقض فيما بينها فيما يخص موضوع الحقيقة، هذا على الرغم من أنّ الإسلام ينتمي في عقائده للرسالة اليهودية والمسيحية، ولكنّه يعتقد بتجاوزه لليهودية، ويسعى دائما لإقصاء هذا الدين.(Quiniou, 2016,22)

في المجال العلمي، يعادي الإسلام نظرية التطور لأنّها تفرض تصورا ماديا للإنسان، وهذا على الرغم من أنّ هذا الدين كان محفزا للفعالية العلمية في العصر الوسيط، ولكنّه توقف عن التحفيز عندما تعلق الأمر بالبيولوجيا، ذلك أنّ تطور هذا العلم يهدد بتخريب الأنتروبولوجيا الروحية، والتصور الديني لأصل الإنسان، منذ هذه اللحظة تحول الإسلام إلى قوة مضادة للعلم، ونفس الشيء يقال عن الأديان الأخرى.(Quiniou, 2016, 23-24)

أمّا المجال الآخر من الأكاذيب الدينية، فيتعلق بشكل مفارق بالأخلاق، ذلك أن الأديان تدعي توجيه البشر نحو الخير المطلق، والحب والسلام في العلاقات بين الناس، لكن مجريات التاريخ الإسلامي تفضح هذا الادعاء، فالحب بين الناس لا يستهدف إلا أفراد الأمة المسلمة، والواقع يؤكد أن تاريخ المسلمين ميزته الحروب اتجاه الآخر، وداخل الجسم الإسلامي الواحد الممزق. (Quiniou, 2016,24)

تتكرر هذه الرؤية القاتمة حول الإسلام عند الفيلسوف ميشال أنفريه(1959-)، أحد أهم الفلاسفة البارزين في وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة والمحسوب على التيار الفرنسي اليساري الراديكالي، ويعتقد هذا الرجل أن هناك تناقضات في القرآن، ذلك أنّ الله يظهر كمحارب لا يعرف الرحمة، كما يمكنه بالفعل ممارسة مروءته وكرمه، فذلك من اختصاصه، لكن متى؟ وأين؟ ومع من؟ في أعمال النبي وأقواله، كما في نص الكتاب المقدس يتم المرور على حد السيف والإذلال بالرق والتعذيب والحرق والنهب أكثر مما نرى ممارسة محبة القريب، فالنظرية الإسلامية والممارسة المسلمة لا تتآلفان في الرحمة.(أنفراي، 2012، 191-192)

نجد هذا التوصيف عند الفيلسوف واللاهوتي ريمي براغ المتخصص في الفلسفة الوسيطية، ولكن بطريقة منهجية، وهذا بحكم تخصصه في المعرفة الدينية، ويرى براغ أن هناك عنف في النصوص الدينية للأديان السماوية، وينطلق هذا اللاهوتي من التوصيفات التالية للعنف:

1- يمكن أن يكون العنف حكاية موضوعها أحداث سابقة.
2- يمكن أن يكون العنف رغبة.
3- العنف مصدره أوامر إلهية. (Brague, 2018, 212-218)

حسب هذه التوصيفات فإن النص القرآني لا يختلف عن نصوص العهد القديم والعهد الجديد، إذ توجد ميزة مشتركة لهذه النصوص في احتوائها على إمكانيات العنف، ثم إنّ القرآن يحتوي على أوامر تحث على القتال وتبقى مفتوحة ليتمكن العقل القارئ لهذه النصوص من إعادة تحديد الأعداء.(Brague, 2018, 229)

في نظر كويني ووأنفرايوبراغ تتغذى الحركات الإسلامية الأصولية العنيفة من النصوص المقدسة التي تشرع العنف ضد الأبرياء، لكن أصوات عديدة من الفلاسفة الماركسيين ذووا التوجه الماوي كألانباديو مثلا يرون في العمليات الإرهابية جزءا من مشهد هيمنة الرأسمالية العالمية المتوحشة، الساعية إلى تحطيم الدول، والتي تهدف لنهب حاجيات السوق العالمية، مع استغلال الأطفال والمراهقين، وداخل هذا السياق ظهرت العصابات المسلحة الفاشية، والمصطبغة باللون الديني، وهكذا سيتحدث المفكرون الكبار كما يقول باديو، والذين يتلبسهم الخوف من الإسلام، والدين سيكون تعله وغطاءا بلاغيا، وله قبلية الاستعمال والتوجيه من طرف العصابات الفاشية، وليست المسيحية في هذا الصدد بأحسن حال، ولنستحضر ببساطة الفاشية الاسبانية لفرانكو.(باديو، 2012، 66)

إنّ إلقاء اللوم على الإسلام لن يكون صراحة أمرا جديا، لأن أولويات وطبيعة العصابات المسلحة لا يتجاوز اجتياح مناطق منكوبة من العينة الرأسمالية وإقامة نظام عصابات ذات مردودية أكبر، والتي لها أن تصطبغ بعد ذلك بملامح روحانية في سبيل غواية الثوار الشباب. (باديو،2012، 100)

يعتقد باديو أن الانطلاق من الدين سيجعلنا نقع في خطاطة حرب الحضارات الفارغة والرجعية، كما أنّ الدين من حيث هو كذلك لا يخلق سلوكيات الانتحار والإجرام، ذلك أنّ النزعة الفاشية هي التي تخلق النزعة الإسلامية وليس العكس. (باديو، 2012، 100)

إنّ محاولة النيل من الإسلام ورموزه يمثّل تقليدا فلسفيا فرنسيا بامتياز،فرغم عهود الحداثة والتنوير وتعدد مصادر المعرفة الدينية بقيت عقول الفلاسفة الفرنسيين بتعدد إيديولوجياتهم مرتبطين بالعقل الإستشراقي، والذي بدوره تحركه المنطلقات والأهداف التي رسمتها الكنيسة عبر مجامعها العلمية.

الخاتمة

إنّ مواقف الفلاسفة الفرنسيين من الإسلام كواقع وكحضارة تتحكم فيه السياقات التاريخية والثقافية والسياسية والمنطلقات الإيديولوجية لكل فيلسوف، وقد حاولنا قدر الإمكان استقراء ما كتبه هؤلاء الفلاسفة خلال العشر سنوات الفائتة، وهذا حسب إسهامات أشهر فلاسفة فرنسا الحاضرين بقوة في المنابر الإعلامية وكذا الأكاديمية، والشيء المهيمن في كتاباتهم محاولة حجب الإسلام في الدائرة الخاصة، مع علمهم أنه دين يملك منظومة قيم وقوانين تتصادم مع الفلسفة الغربية. ثم إن ما يميز النقاش الفرنسي حول الإسلام هو تعدد الرؤى والانفتاح على الفكر الإسلامي في محاولة فهم التمثلات الفكرية للإنسان المسلم، ولكن الصراع الحضاري سيظل قدرا لا مفر منه بين الإسلام والغرب في نظر هؤلاء الفلاسفة.

هوامش الدراسة:

64-المصدر نفسه، ص 100.

1- Balibar Etienne, dissonances dans la laïcité, mouvements (/3 n-o 33- 34 2 2004),

2- Balibar Etienne, la laïcité ou identité, libération,(mardi 30 aout 2016),

3- Ballibar Etienne, libre parole(Paris: éditions Galilée, 2018)

4- bayle Pierre, (2015) Mahomet, dictionnairehistorique et critique (fichier PDF, édition 1715,

5- Boniface Pascal, (2009) entretien avec régis Debray, revue international et stratégique /3/N-75),

6- Brague Remi, (2009) du dieu des chrétiens et d'un ou deux autres Paris,: éditions Flammarion,

7- Brague Remi, (2015) 1, N 149, commentaire, sur le vrai Islam

8- DebrayRégis, ce que nous voile le voile, la république et le sacre (Paris : Gallimard, 2004)

9- Fleury Cynthia, (2016) dialogué avec l'orient, Paris: CNRS,

10- Gauchet Marcel, l'avènement de la démocratie, le nouveau monde2017(, Paris : Gallimard)

11- Kelani Mondher, la France et le voile islamique, universalisme, comparaison, hiérarchie, revue de théologie et de philosophie (troisième série, ð1993 vol 125, n-o2)

12- Lindenberg Daniel (octobre2002) le rappel à l'ordre enquête sur les nouveaux réactionnaires, (Paris- France, éditions du seuil et la république des idées)

13- LiogierRaphael, la guerre des civilisations n'aura pas lieu, coexistence et violence au 21eme siècle (Paris:CNRS éditions collection biblio, 2016)

14- Manent Pierre, cours familiers de philosophie politique (Paris- France :Gallimard, 2001)

15- ManentPierre, situation de la France (Paris:Desclee de Brower, 2015).

16- Morin Edgar,Ramadan Tariq)2017), L'urgence et l'essentiel, dialogue avec Claude henry du bord, Paris- France :don quichotte éditions,

17- Nancy Je an Luc, (octobre 2019), esprit.

18- Nemo Philippe, (2004) qui est ce que l'occident Paris- France, puf

19- Profs ne capitulons pas, le nouvel observateur (2-8 novembre, 1989), l'article est signer parRégis Debray, Alain Finkielkraut, Elisabeth Badinter, Elisabeth Defontenay, CathrineKintzler.

20- Quiniou Yves, pour une approche critique de l'islam (Paris: éditionsh&o, 2016)

21- Raynaud Philippe, (2019) la laïcité, histoire d'une singularité français (Paris: éditions Gallimard

22- RogozinskiJacob, djihadisme, le retourdu sacrifice, (Paris :Desclee de Brower, 2017)

23- rollet Jacques, religion et politique, le christianisme, l'islam, la démocratie (Paris éditions grasset et Fasquelle, 2001)

24- Roy Olivier, l'Europe est elle chrétienne (Paris- France : le seuil, 2019)

25- ScottJoan Wallach, la religion de la laïcité, traduit de l'anglais, Etats-Unis par Joëlle Marell (Paris- France: éditions Flammarion, 2018)

26- Taguieff Pierre. A.,(2017) l'islamisme et nous, penser l'ennemi imprévu, Paris :CNRS édition

27- أونفراي ميشيل، كتاب نفي اللاهوت، فيزياء الميتافيزيقا، ترجمة محمد لعروسي) ألمانيا: منشورات الجمل، 2012)

28- باديوألان ، شرنا يأتي مما هو أبعد، التفكير في مذبحة 13 نوفمبر، ترجمة وتقديم محمد هاشمي(الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع ، 2012)

29- داخلية جوسلين،(2019)، الاسلام والغرب من ايديولوجية الصدام الى جدلية النزاع، ترجمة خالد بن الصغير،ط1، دار البيضاء المغرب، منشورات عكاظ،

30- العميري سلطان بن عبد الرحمان،(2018)، ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث ،ط2؛ العربية السعودية: دار تكوين للدراسات والأبحاث، ج1،

31- لالا ندأندريه، (2001)موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل ،ط2؛ بيروت،لبنان: منشورات عويدات ،

- وهنا تظهر أسماء ألان في كينكروت وباسكال بروكنر وبرنارد هنري ليفي واليزابيت بادينتر وكثيرون يتفقون على رفض كل أشكال التعبير الإسلامية بفرنسا.